

## مقالة تركية

## ابن سينا

بمناسبة انقضاء ثمانمائة سنة على وفاته

للدكتور زكي علي

في سنة ١٩٣٢ خطر لكاتب هذه السطور بينما كان يقوم ببعض الأبحاث في معهد تاريخ الطب بقينا أن يُحيى ذكرى طبيب الإسلام الأشهر « ابن سينا » في الوقت المناسب بنشر بعض الرسائل العلمية عن حياته في المجلات الطبية وغيرها

وجرى وقتئذ بيني وبين الأستاذ ماكس نويبرجر - وهو من أشهر علماء تاريخ الطب اليوم - حديث في هذا الشأن لفت نظري في سياقه إلى رسالة لأحد الأطباء من الأتراك الكاليين حاول فيها أن ينسب ابن سينا إلى المنصر التركي تمثيلاً مع نعمة الجنس التي تغفلت في تركيا الكالية وشوّهت في كثير من الأحيان وتجه الحقائق التاريخية تبريراً لغاية قومية

وقد نشرت « الرسالة » في أحد أعدادها في الصيف الماضي نبأ مؤداه أن جامعة استانبول احتفلت بإحياء ذكرى « ابن سينا » أنبغ طبيب في الإسلام . ولما كان ابن سينا فارسي الأصل فقد أراد الكاليون بعملهم هذا تجريد من فارسيته وإقامة الدعوى الباطلة على أنه ينتمي إلى الجنس التركي ، وبذلك تكون عبقريته النادرة من مفاخر القومية التركية ؛ وفي هذا افتيات على التاريخ والعلم لا تبرره المصيبة الجنسية

\*\*\*

يلقب ابن سينا في الشرق « بالشيخ الرئيس » وفي الغرب « بأمير الأطباء » حيث عرفته أوروبا باسم Avicenna واسمه الكامل أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا ، وقد أجمع المؤرخون على اعتبار شخصيته إحدى الظواهر الفكرية العجيبة التي سجلها تاريخ الطب والفلسفة كما أنه من أعظم العلماء الذين أنجبتهم الشرق إذ جمع في نفسه شخصية الطبيب والفيلسوف والشاعر والفلكي والسياسي والعالم بطبقات الأرض ، وبلغ بذلك

١٠٣٥

ذروة النبوغ و قمة الشهرة بين علماء الإسلام شرقاً وغرباً ؛ وحسبك ما ذكره عنه الطبيب المؤرخ الأمريكي كامستون إذ قال : « يعتبر ابن سينا معجزة من معجزات العقل الراجح ويجوز أنه لم يسبقه ولم يظهر بعده من العلماء من يدانيه في حدة الذكاء وسرعة نبوغ العقل بالنسبة للمعمر مع عزيم ونشاط لا يعرف الملل وهمة شائعة الحدود »

ولد ابن سينا بقرية تسمى « أفشنة » بالقرب من « حرمين » من أعمال بخارى وذلك سنة ٩٨٠ م ( ٣٧٠ هـ ) وكان أبوه من بلخ ثم انتقل إلى مملكة بخارى في زمن نوح بن منصور من الدولة السامانية وكانت يومئذ غاصة بالعلماء فوجهه أبوه إلى من حفظه القرآن وعلوم الأدب

وظهرت بوادر نبوغ ابن سينا وعبقريته منذ الطفولة فابلغ العاشرة من عمره حتى حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ودرس النحو والأدب والفقه ، ثم تعمق الفتي في دراسة شتى العلوم بحماسة وجد بالنين ، فأقنى على منطق أرسطو وفلسفته وأكسب على تحصيل الهندسة والطبيعة والفلك فأتقن ذلك كله ولم يتجاوز السادسة عشرة . وكان من نمومة أظفاره يحس من نفسه ميلاً خاصاً إلى دراسة الطب فأقبل على تعلمه بسرعة غريبة إذ أكمل معارفه فيه واشتهر أمره كطبيب بارع ونطاسي ماهر بعد أن جاوز عمره الثامنة عشرة بقليل . وصادف إذ ذاك أن مرض السلطان نوح بن منصور حاكم بخارى لذلك العهد ورأى أطباؤه أن يستشيروا ابن سينا في أمر معالجته ، فاستدعى صاحب الترجمة فأشار بعلاج حاسم كان فيه شفاء السلطان فأحسن مكافأته وسمح له بالإطلاع على نقائس مكتبته الخاصة التي حوت كثيراً من الكتب العلمية النادرة فوعى ابن سينا زبدة ما فيها وعكف على الدرس والبحث سنوات ما كان يذوق فيها طعم النوم إلا غراراً ، ومما قاله عن نفسه : « لازمت العلم وكنت كلما أحر في مسألة ترددت إلى الجامع وصليت وابتهلت إلى مبدع الكل حتى يفتح لي التفلق منه ويتيسر التفسير . وكنت أشتغل ليلاً في داري بالكتابة والقراءة فإن غلبني النوم أو شعرت بضعف عدلت إلى شرب قدح من الشراب ربنا تعود إلى قوتي ثم أرجع إلى القراءة ، فإن غلبني النوم حلت بالسائل التي كنت أعالج حلها حتى إن كثيراً منها انضج لي بالنام »

وأخذ ابن سينا في التأليف وهو في الحادية والعشرين من عمره فصنف موسوعة علمية ضمها كثيراً من العلوم الطبيعية وكتب في الفلسفة وما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) عدة رسائل وفي غضون تلك المدة صار ابن سينا مضرب المثل في البراعة الطبية وذاع صيته لما أوتيته من النجاح في علاج المرضى الذين كانوا يقدون إليه من فجاج الأرض ، وله في ذلك كثير من النوادر المعجبية التي تناقلها الرواة والمؤلفون<sup>(١)</sup>

ثم لما بلغ صاحب الترجمة الثانية والعشرين من عمره نكب بوفاته والده فانتابته بعد ذلك الشدائد ، وزاد في محنته وأهواله أن اضمحلت الدولة السامانية وكانوا حماة الدين تعهدوه بالرعاية والتشجيع ، فخرج من مملكة بخاري قاصداً « كركانج » عاصمة « خوارزم » التي كان يحكمها الأمير علي بن مأمون ، غير أن الضيق لازمه فتنقل في البلاد شريداً ثم أتى عصا الترحال في « جرجان » حيث كان يقصد أميرها « قابوس » الذي اشتهر بتأييده للمعلماء فصادى وصوله سقوط قابوس عن عرشه وحبيه في بعض القلاع وما لبث أن مات ، فتألم ابن سينا لذلك ألماً شديداً وأنشأ قصيدة قال فيها :

لما عظمت فليس مصرٌ واسمى لما غلامني عدمتُ المشتري  
ثم هام على وجهه في الآفاق إلى أن وصل أخيراً إلى « حمدان » ودخل في خدمة أميرها شمس الدولة وعالجه علاجاً ناجحاً إذ كان يشكو مرضاً شديداً بالعدة ، فأحسن الأمير صلته وقلده الوزارة ولم تمنعه أعمال الدولة ومهام المنصب عن مواصلة نشاطه الطبي وأبحاثه العلمية ، فألف في ذلك الوقت الجزء الأول من كتابه الأشهر « القانون في الطب » ، وكان يقضى النهار في مباشرة شئون الدولة ويحيي الليل بالمحاضرة والتدريس وإملاء المذكرات على تلاميذه ، فإذا انتهى من محاضراته استبقى مستمعيه وهيئ مجلس الفناء والأنس والموسيقى ترويحاً للنفوس من عناء الدرس على أن هذه الحياة الحافلة بالعلم والعمل والنشاط ما لبثت أن عضت بها رياح الفتن السياسية ودس أعداء صاحب الترجمة له وأتهم بأن له صلة سياسية وثيقة بأمير أصفهان وسجن في إحدى

(١) ذكرنا شيئاً من ذلك في رسالتنا « انطب العربي وتأثيره في مدينة أوروبا » طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٣١

القلاع وهناك لازم التأليف . ثم إنه أفلح أخيراً في الفرار من سجنه بعد أن تنكر في زي الصوفية وقصد أصفهان حيث استقبله أميرها بكل أنواع الحفاوة والإكرام وصار موضع إكبار الجميع وصحب السلطان في كثير من غزواته إذ كان طبيبه الخاص ووزيراً للدولة وعكف على إنجاز مؤلفاته المديدة في مختلف العلوم وفي مقدمتها كتابه « القانون في الطب » الذي أذاع اسمه وخلد شهرته في الشرق والغرب مدى ستة قرون ، ودون كتيبه في الفلسفة والفلك وعلم النفس وفقه اللغة والعلوم الطبيعية والكيمياء وغيرها ، ولم ينقطع برغم هذا كله عن ممارسة مهنة الطب التي فاق فيها كل معاصريه وأوصله نبوغه فيها إلى مكانة ليس وراءها غاية

وقد أنهكت الجهود الجبارة والعمل الشديد المتواصل قواه فمات ولم يتجاوز عمره السابعة والخمسين سنة ١٠٣٧ م ويمتاز ابن سينا بغزارة مادته الأصلية في التأليف ، وتنوع العلوم والفنون التي ترك فيها آثاراً قيمة ، وضخامة كثير من كتيبه النفيسة التي كانت بمثابة دوائر معارف شاملة ولا جدال في أن كتابه « القانون في الطب » — وهو أهم مؤلفاته ، وأضخمها إذ يحتوي على نحو مليون كلمة — الفضل الأكبر في ذبوع تماليم ابن سينا وآرائه الطبية في كل الأقطار ، ثم في بقاء تأثيره نافذاً متسلطاً على مصير الطب في الشرق والغرب مدى عدة قرون . وقد نوه الطبيب المؤرخ الإيطالي كاستليون في كتابه « تاريخ الطب » المطبوع سنة ١٩٣١ بأن تميز « قانون ابن سينا » على كل ما سواه من كتب الطب في المصور الوسطى راجع إلى دقة ابن سينا في الشرح والتحليل بطريقة هذيبية تعليمية بارعة ، وإلى إتقان تبويبه وتقسيمه وترتيب المواضيع الطبية التي عالجها بحيث كفى الأطباء في ذلك — المصير مؤونة البحث فيما عداه

وقد دون ابن سينا في « قانونه » كل علوم الطب إلى زمنه ، وتفحصها وزاد عليها آراءه وملاحظاته ومشاهداته الأكلينيكية ، ويقع في خمسة كتب أساسية . وبقي هذا الكتاب يدرس في جامعات أوروبا زهاء ستة قرون ، واستمر المرجع الأساسي في تدريس الطب بجامعة مونبلييه ولوفان حتى ختام القرن السابع عشر .

وتعود عالة بكل خفية في العالمين فخرها لم يرفع  
وهي التي قطع الزمان طريقها حتى لقد غربت بغير المطلع  
فكانها برق تألق للجمي ثم انطوى فكانه لم يلعب  
وفي المنطق كتاب الإشارة وكتاب الشرقيين ورسالة  
العروس؛ وله في العلوم الطبيعية والرياضية والآداب والسياسة والفقه  
والموسيقى واللغة العربية وعلومها مؤلفات كثيرة بعضها موجود  
في مكاتب أوروبا وبعضها مفقود

وقد ترك ابن سينا وصفاً علمياً صحيحاً لتكوين الجبال، ذكره  
دراير ووتنجتون، واعتبره جاريسون الأمريكى مبرراً لتسمية  
ابن سينا «أبا علم طبقات الأرض» (الجيولوجي)

ويضيق بنا المقام هنا عن ذكر آراء ابن سينا الفلسفية ولهذا  
نقتصر على إبراد المهم من مشاهداته واكتشافاته الطبية

امتاز ابن سينا على أبقراط وأرسطو وجالينوس بدقته في  
مناقشة الحالات المرضية ومهارته في فن تشخيص الأمراض  
(Semiology) ومبحث أسباب المرض (aetiologie) وهو أول  
من وصف مرض التهاب السحايا «السرسام الحار» وصفاً  
صحيحاً وميزه عن الأمراض الحادة المصحوبة بالهذيان، وكان ذلك  
يلتبس على أطباء اليونان؛ كما أنه أتقن وصف سير هذا المرض  
والإنذار فيه. ومما يدل على دقة ملاحظاته الاكلينيكية ذكره  
أن التهاب البلورا «ذات الجنب» والتهاب الرئة «ذات الرئة»  
قد تنتج عنهما أعراض سرسامية بهيئة مضاعفات، وأن التهاب  
السحايا في تلك الحالات يعتبر نذيراً سيئاً إذ تعقبه الوفاة عادة.

وأجاد ابن سينا أيضاً في شرح أمراض الجهاز التنفسي،  
وقال بضرورة التمييز عن تشخيص ذات الجنب بين التهاب البلورا  
الحقيقي، وبين التهاب البسيط للمضلات بين الضلوع وبين  
التهاب النصف الصدري (الحيْزوم) وخراج السطح الأعلى  
للكبد.

وأتقن ابن سينا وصف الأمراض العصبية، وبوجه خاص  
الأمشكال المختلفة للشلل وللغالج النصفى وشلل الوجه (القفوة)  
واهتدى إلى التمييز بين نوعي اللقوة: المركزي والموضي وشرح  
بأسباب التشخيص التمييزي بينهما

وترجم «القانون» إلى اللاتينية في طليطلة في القرن الثاني عشر  
نقله جيراردى كرىونا ثم ظهرت له بعد ذلك طبقات لاتينية  
أخرى تمت بالعشرات. ونشرت منه طبعة عربية في روما سنة  
١٥٩٣، وفي بولاق بمصر سنة ١٨٧٧، وظهرت له في أوروبا  
عدة شروح، كما ترجمت أجزاء منه إلى الفرنسية والألمانية  
والإنجليزية وغيرها من لغات أوروبا، وترجم أيضاً إلى التركية  
والفارسية<sup>(١)</sup>

وقد أحصى العلامة الألماني وستفالد من مؤلفات ابن سينا  
مائة وخمسة في علوم الطب والفلسفة والدين والفلك واللغة والأدب  
والموسيقى والهندسة والمنطق والعلوم الطبيعية وغيرها، ونكتفي  
هنا بذكر أسماء بعضها: فن كتبه التي نقلت إلى اللاتينية وغيرها  
من لغات أوروبا، بعد «القانون» كتاب «قلب الانسان»  
و«الأرجوزة في الطب» و«الشراب» و«مختصر الحيوان»  
و«الحجر الفلسفي» و«السما والعالَم» و«النفس» و«ما بعد  
الطبيعة» و«الطبيعات» و«الكيمياء» و«المنطق»  
و«الحدود» و«التعريفات» و«الفلسفة الأولى»

ثم كتاب «الشفاء» في الفلسفة وترجم إلى اللاتينية بعنوان  
Liber Sufficientis ولا يزال الأصل العربي موجوداً. وله في  
الفلسفة أيضاً كتاب «النجاة» و«الإشارات» ورسائل في  
الإصناف والمسائل العشرين، والباحثات، والجواهر التي لا يتحرك،  
وتقسيم العلوم الفلسفية، وحد الجسم، وشرح كتاب النفس  
لأرسطو وما بعد الطبيعة، وكل هذه لا تزال باقية

ومن كتبه في الفقه والتوحيد الإلهيات والجمانة الإلهية  
ثم له القصيدة العينية الشهيرة في النفس التي مظلمها:

هبطت إليك من المحل الأرفع ورفاء ذات تعزز وتنعس  
وفيها يقول:

إن كان أرسلها الإله لحكمة

طويت عن الفطن الطبيب الأروع

فهبوطها إن كان ضربة لازب لتكون سامعة بما لم تسمع

(١) معنى بعض علماء أوروبا في السنوات الأخيرة بالتدقيق في دراسة  
مؤلفات ابن سينا الطبية والفلسفية ونشرها خبذاً أن تعي الحكومة المصرية  
بانعاده طبع كتاب «القانون» طبعة حديثة لإحياء لترات العظماء من السلف

ومما أشار إليه ابن سينا أن المخ والمغظام خلافاً لرأي القدماء  
قد تكون مقرأ للأورام

وكان يعالج تشوهات السلسلة الفقرية بالرد العنيف وهي طريقة  
أعاد إدخالها في العلاج الجراح الفرنسي كالو سنة ١٨٩٦ . ولابن  
سينا طريقة شائقة طريقة في وصف الأمراض العقلية ، وله الفضل  
في ابتكار كثير من طرق العلاج النفساني

وكان جالينوس يقول بأن السكتة ( ضربة الدم أو النقطة )  
يندر أن تكون مسببة عن البليثورا وهذا خطأ ، يخالفه ابن سينا  
وقال بالعكس ، مستنداً إلى مشاهداته الإكلينيكية ، بأن البليثورا  
من أكثر الأسباب المهيئة لحدوث السكتة

ومما ذكره ابن سينا ولم يسبقه إليه أحد أن الحصبة أكثر  
ما تكون عدواها في الربيع والخريف وأنها أكثر وقوعاً في  
هذين الفصلين ، كما ذكر أن الأطفال يصابون بها أكثر  
من البالغين

ودرس ابن سينا بدقة أمراض الكبد وطريقة فحصه ووصف  
بمهارة أعراض اليرقان بأنواعه بما يتفق والأوصاف الحديثة ؛  
وشرح عند الكلام على أمراض المعدة ، أعراض ضيق البواب  
والقرحة المعدية وأفاض في شرح أضرار إدمان الكحول على  
الكبد ، وعلل السبب الفيزيولوجي لتلايف الأمعاء . وتكلم  
ابن سينا طويلاً عن استطالة عنق الرحم وعن أورام الرحم وسقوطه  
وصلايته وعن خطر سرطان عنق الرحم

ووصف طريقة علاج البواسير بالشق ، وأشار عند الكلام  
على الدُّبيلة ( تجمع الصديد في جوف البلورا أو الإميبيا ) بعلاجها  
بالشق عليها لتفريغ الصديد ، وذكر طريقة رد خلع الكتف  
بالضغط المباشر . وأما في علم الديدان فهو أول من وصف الدودة  
المروقة باسم الفرنت أو الميرق المدينى Vera medinensis

ثم إن أوصاف ابن سينا في التشريح أكمل في بعض الأحيان  
من أوصاف جالينوس . وذكر بؤراً قال أن ابن سينا كان ذا معرفة  
تامة بتشريح الفرجية وإنسانه الذين والقناة الدمعية وأنه أول  
من اكتشف اندغام عضلات العين

وقد أدخل ابن سينا في مادة الأدوية عدداً كبيراً من العقاقير  
الطبية التي لم تكن مستعملة من قبل

« جيف »

ذكرى على .

## لطلبة السنة التوجيهية

### تطلب الكتب الآتية من ملزم نشرها

### مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

### الذخيرة

في شرح محفوظات النصوص الأدبية  
للمحمد أحمد جاد المولى بك ، محمد أبو بكر إبراهيم ، حسن حسين مخلوف

### دروس الرياضة

للقسم الأدبي

للدكتور محمد علي حجاب ، أماني كنفاني ، محمود حمودة قنديل

### الجبر والتحليل الرياضي

للقسم الرياضي

للمحمد تيم شيمي ، الدكتور صادق بشارة ، مئري جرجس

### الطبيعة للسنة التوجيهية

للقسمين العلمي والرياضي

للمعلم محمد النراوى ، حبيب اسكندر ، حسن الجندى .

### الضوء للسنة التوجيهية

للقسمين العلمي والرياضي

للدكتور محمود أحمد الصريتي ، عزيز ميلاد فريضة

### الطبيعة التوجيهية

للقسم الرياضي الإضافي

للدكتور محمود أحمد الصريتي ، عزيز ميلاد فريضة

### المطالعة الفرنسية

للقسمين العلمي والرياضي

للسير بول الجور

### المطالعة الفرنسية

للقسم الأدبي

للسير بول الجور

### أمنجد في الكيمياء

للقسمين العلمي والرياضي

للمعلم محمد النراوى ، حبيب اسكندر